Sham's Land Journal

Vol. (3) No.(2) (2024): 118-138

مجلة ارض الشام

المجلد (3) العدد(2) (2024): 118-138

مؤسسة أرض الشام

جماليات النبر والتنغيم في اللغة العربية

عصام درار الكوسى [1]

1. أستاذ في كلية الآداب – جامعة البعث– قسم نحو وصرف

isamalkousa@gmail.com

الملخص:

يتناول هذا البحث مسألة مهمة تعنى بالجانب الصوتي والتشكيلي للغة العربية، وهي مسألة النبر والتنغيم، يعرف البحث بهاتين الظاهرتين لغة واصطلاحاً ويبين أنّ العلماء العرب القدماء وعوا هاتين الظاهرتين في مصنفاتهم، ولكنهم لم يتركوا أي مصنف يدلل على ذلك مما دفع بعض العلماء المستشرقين والعرب المحدثين إلى نفي وجودهما في اللغة العربية الفصحى.

ويبين بعد ذلك مواضع النبر، وأنّ تلك المواضع اعتمد فيها العلماء العرب المحدثون على آراء المستشرقين، واستند بعضهم في تحديدها إلى قراء القرآن الكريم، وكانت هذه المواضع موضع خلاف بينهم.

ويظهر البحث أنّ النبر الدلالي له أثر في تغيير المعاني، أما النبر الصرفي فأثره في تغيير المعنى موضع اختلاف بين المحدثين. ويخلص إلى أنّ النبر في العربية غرضه الرئيس إمّا توضيح مقطع من مقاطع الكلمة الواحدة، وأثر هذا النوع جمالياً لا يكاد يظهر، وإمّا توضيح كلمة في جملة، وهو نبر الجملة وهذا النوع يبين لنا صورة ساطعة عما تحمله العربية من أساليب جمالية تبز بها اللغات الأخرى.

ويبين البحث أنّ الاختلاف في النمط التنغيمي للجملة يؤدي على الاختلاف في المعنى، ويتوقف مطولاً عند أثر التنغيم في التوجيه القرائي وفي التأويل النحوي وفي علم المعاني، ويتناول العلاقة بين التنغيم وعلامات الترقيم ويخلص إلى أنهما بمنزلة حاستي السمع والبصر، ولا غنى لواحدة عن الأخرى.

الكلمات المفتاحية: النبر، التنغيم، التأويل، المعنى

حقوق النشر: مجلة أرض الشام – سورية

https://journal.shamlands.sy/index.php/SLJ

تاريخ الايداع: 2024/7/2 تاريخ النشر: 2024/8/18

The Aesthetics of Stress and Intonation in Arabic

Issam Dirar Al-Kousi [1]
1. Professor at the Faculty of Arts - Al-Baath University - Department of Grammar and Morphology
isamalkousa@gmail.com

Abstract:
This research deals with the issue of stress and intonation; an important issue concerned with the phonetic and morphological aspects of the Arabic language. The research defines these two phenomena linguistically and terminologically and shows that the ancient Arab scholars were aware of these two phenomena in their works, but they did not leave any work to proves it, which prompted some modern orientalists and Arab scholars to deny their existence in classical Arabic.

It also explains the places of stress, which were a matter of disagreement among Arab scholars, some of whom relied on the views of the Orientalists, and others based their definition on the readers of the Holy Qur'an. The research shows that semantic stress has an effect on meaning change, while morphological stress with an effect on changing meaning remains a matter of disagreement among modern scholars. It concludes that the main purpose of stress in Arabic is either clarifying one of the syllables of a single word - and the aesthetic effect of this type is hardly apparent - or clarifying a word in a sentence, which is the stress of the sentence. This type presents a bright picture of the aesthetic styles that Arabic language carries distinguishing it from all other languages.

The research also shows that the difference in the tonal pattern of a sentence leads to a difference in meaning. It deals at length with the effect of intonation on reading guidance, grammatical interpretation, and semantics. It addresses the relationship between intonation and punctuation marks and concludes that they are like the two senses of hearing and sight, and one is indispensable for the other.

Keywords: Stress, Intonation, Interpretation, Meaning

المقدمة:

مما لاشكّ فيه أَنَّ للغة المنطوقة سماتٍ تفتقر إليها اللغة المكتوبة، فهي تبرز خصائص لا يمكن إظهارها في اللغة المكتوبة، وهي خصائص تتصل بالنطق والأداء الصوتي، منها النبر والتنغيم والوقف والفصل والوصل[1] وهذه اللغة المنطوقة أفرزت علم الأصوات اللغوية، وهو علم يدرس جانبين: أولهما الأصوات المجردة، ويُركّز فيها على صفات الأصوات ومخارجها، وثانيهما الأصوات المتَشكِّلة، وهو ما يسمى بعلم الأصوات الوظيفي ويُركز فيها على النبر والتنغيم وغيرها.

النبر: من المسلّم به أنّ النبر ظاهرة صوتية تبرز في نطق الكلمات وأدائها، ولا بد في البدء أن نبين معنى النبر لغة واصطلاحاً، فالاصطلاحات مفاتيح العلوم.

لغة: النَّبْرُ بالكلامِ: الهَمْز، ويقولُ ابنُ الأنْباريِّ: النَّبْرُ عند العَربِ ارْتِفاعُ الصَّوتِ. يُقالُ: نبَر الرَّجلُ نَبْرةً: إذا تكلَّم بكَلِمةٍ فيها عُلُوٌّ، قَالَ: وكلُّ شَيْءٍ رَفَعَ شَيْئًا، فَقَدْ نَبَرَه.[2] ويعني أيضاً العلو والارتفاع.

اصطلاحاً: لمصطلح النبر تعريفات كثيرة جداً، بيد أنّ معظمها ليس ببعيد عن المعنى اللغوي الذي أشار إليه أصحاب معاجم اللغة.

فهو إبراز أحد مقاطع الكلمة[3] عند النطق بالتشديد أو الضغط عليه وباختلاف موضع النّبر من الكلمة تتميّز اللهجات[4].

وعرفه جاك كانتينو بأنَّه: "إشْباعُ مَقطَعٍ مِنَ المَقاطِعِ بأن تُقوِّيَ إمَّا ارْتفاعَه المُوسيقيَّ، أو شِدَّتَه أو مَداه، أو عَدّة عناصر مِن هذه العَناصِرِ في نفس الوقت وذلك بالنسبة إلى نفس العناصر في المقاطع المجاورة."[5]

وعرفه د. إبراهيم أنيس بقوله: "هو نشاط في جميع أعضاء النطق في وقت واحد فعند النطق بمقطع منبور، يلحظ أن جميع أعضاء النطق تنشط غاية النشاط، إذ تنشط عضلات الرئتين، كما تشتد

---

(1) التفكير اللغويّ بين القديم والحديث، د. كمال بشر، ص 57.

(2) لسان العرب، ابن منظور الأنصاري، (نبر) 189/5.

(3) المقطع الصوتي هو أصغر كتلة نطقية يمكن أن يقف عليها المتكل م، فكلمةٌ "كتب" المكونة من ثلاثة أحرف يمكن نطقها على ثلاث وحدات: الكاف مفتوحة ثم التاء مفتوحة، ثم الباء مفتوحة أيضا. ينظر: من وظائف الصوت اللغوي، محاولة لفهم صرفي ونحوي ودلالي أحمد كشك، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط 1، 1427 هـ / 2006 م، ص 23. أي يتكون المقطع من وحدتين صوتيتين أو أكثر، إحداهما حركة بالضرورة؛ فلا وجود لمقطع خال من الحركة، وهذا يعني أ ن المقطع في العربية لا يتكون من الصوامت فقط، بل يتكون من الصوامت والحركات، (الصوائت).

(4) معجم اللغة العربية المعاصرة، د أحمد مختار عبد الحميد عمر، 2158/3.

(5) دروس في علم أصوات العربية، جاك كانتينو، ترجمة صالح القرمادي، ص194.

حركات الوترين الصوتيين، ويقترب أحدهما من الآخر ليسمحا بتسرب أقل مقدار من الهواء. فتعظم لذلك سعة الذبذبات ويترتب على ذلك أن يصبح الصوت عالياً واضحاً في السمع."[1]

وعرَّفُه الدُّكتورُ تمَّام حسَّان بأنَّه: "وُضوحٌ نِسبيٌّ لصوتٍ أو مَقطَعٍ إذا قُورِن ببَقيةِ الأصْواتِ والمَقاطِعِ في الكَلامِ، يكون نتيجة عامل أو أكثر من عوامل الكمية، والضغط والتنغيم".[2]

وقال عبد الصبور شاهين هو: " وضوح سمعي لمقطع من مقاطع الكلمة ينتج عن ضغط المتكلم على هذا المقطع دون غيره".[3]

مما سبق نرى أنه تلوين صوتي نستخدمه بوساطة كمية الصوت وضغط الهواء المنبعث من الرئتين بفضل الحجاب الحاجز على أحد المقاطع الصوتية، فيتضح أكثر من باقي المقاطع المجاورة.

ثمة آراء مختلفة حول وجود هذه الظاهرة عند علماء اللغة الأقدمين، وهذا الاختلاف ظهر عند المستشرقين، فـ(هنري فليش) و(برجستر آسر) نفيا وجودها في اللغة العربية الفصحى أو لم يكد يوجد، وأنها كانت مجهولة عند النحويين القدماء[4].

أمّا (بروكلمان) و(كانتينو) فقد أقرّا بوجودها، فذهب الأول إلى أنّ في العربية القديمة نوعاً من النبر تغلب عليه الموسيقية، وذهب الثاني إلى أنّ النبر ومواضعه معروف في العربية الفصحى، وإن كانت حقيقة النبرة مجهولة"[5]

ومما يؤكد معرفة علماء العربية الأقدمين النبر، فقد ذكره الفارابي وذكره غيره بتسميات مختلفة، منها الهمز والمد والارتكاز والإشباع والمطل[6]

أمّا علماء العربية المحدثون فمعظمهم تأثر بآراء المستشرقين، فوقفوا موقفاً وسطا، فلم ينكروا وجود النبر في العربية، ونفوا تعرض علماء العربية الأقدمين له، فقال الدكتور رمضان عبد التواب: "أما أنَّه ليس لدينا نص نستند إليه في معرفة حالة النبر في العربية القديمة فهذا صحيح، وأمّا أن العربية لم تكن تنبر، فإنَّنا نشكك في ذلك الذي قاله (برجستر آسر)، وهو يغفل في كلامه التطور اللغوي،

---

(1) الأصوات اللغوية، د. إبراهيم أنيس، ص128

(2) مناهج البحث في اللغة، د. تمام حسان، ص 160.

(3) القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث د. عبد الصبور شاهين، ص26. وثمة تعريفات متشابهة ينظر: فن الكلام، كمال بشر، ص 255. والتنافر الصوتي والظواهر السياقية، عبد الواحد حسن الشيخ، ص 56. وأسس علم اللغة، ماريو باي تر: أحمد مختار عمر، ص 93.

(4) العربية الفصحى نحو بناء لغوي جديد، هنري فليش، ص49. والتطور النحوي للغة العربية برجستر آسر، ص 46 –47.

(5) ينظر: فقه اللغات السامية، كارل بروكلمان، ترجمة: د. رمضان عبد التواب، ص 45، ودروس في علم أصوات العربية، جاك كانتينو، ص194 وينظر في هذه الآراء أيضاً: النبر في العربية، حسن بن جابر القرني، ص541–543.

(6) ينظر: كتاب الموسيقى الكبير، الفارابي، ص117–118، ودراسة الصوت اللغوي، د. أحمد مختار عمر، ص358، والدرس الصوتي بين الفيلسوف الفارابي وإخوان الصفا، دراسة صوتية موازنة، شهلاء خالد محمد رضا، ص 137–140. والنبر في العربية (مناقشة للمفاهيم النظرية ودراسة أكوستيكية في القرآن) خالد عبد الحليم العبسي، ص 124.

وتأثير الشعوب المختلفة التي غزتها العربية بعاداتها القديمة في النبر، وأثر ذلك في اختلاف موضعه من الكلمة"، وقال الدكتور إبراهيم أنيس: "وليس لدينا من دليل يهدينا إلى موضع النبر في اللغة العربية كما كان ينطق بها في العصور الإسلامية الأولى، إذ لم يتعرض له أحد من المؤلفين القدماء" وقال الدكتور أحمد مختار عمر: "وليس عندنا أي دليل مادي يبين كيف كان العرب الأقدمون ينبرون كلماتهم؛ لأن اللغويين القدماء لم يهتموا بتسجيل هذه الظاهرة، وربما لم تلفت نظرهم لعدم تدخلها في تغيير المعنى، أو ربما انتبهوا إليها ولكنهم فسروها بطريقة أخرى".[1]

إنّ ما قاله إبراهيم أنيس وأحمد مختار عمر من أنّ القدماء لم يهتموا بالأداء اللغوي وكيفية النطق يتناقض مع ما ورد في كتاب سيبويه، فثمة نصوص كثيرة تبين أنّ سيبويه كان يستند في بناء قواعده وتوجيهاته النحوية إلى اللُّغَة الحَيَّة المنطوقة والتي دفعته إلى الاهتمام بسياق الحال لما له من أهمية في دراسة اللُّغَة، وقد بيّن في مواضع كثيرة من كتابه سماعه النص من أفواه العرب، وبلغ من نقل عنهم أكثر من مِئتَين وست وأربعين مَرَّة[2].

مواضع النبر:

ثمة اتفاق بين علماء اللغة المحدثين والمستشرقين بأن الأقدمين لم يتركوا نصاً مكتوباً يبين مواضع النبر، قال (كانتيو): " تقع النبرة على أول مقطع طويل من الكلمة ابتداء من آخرها، وإذا خلت الكلمة من المقاطع الطويلة وقعت النبرة على المقطع الأول منها... إلا أنّ هذه القاعدة لا تعتمد في الحقيقة على أية رواية قديمة، فلم يذكرها النحاة العرب الذين وصفوا لغتهم بدقة بلغت ما بلغت ولا مصنفو كتب التجويد الذين خاضوا في أدق دقائق القراءة القرآنية...ويبدو حسب ما بينه (مايار لامبار) في المجلة الآسيوية أن المستشرقَيْن (كريستين) و(ماريانوس) قد استلهما تلك القاعدة من سماعهما للمثقفين المصريين في أوائل القرن السابع عشر"[3]

أود أن أشير أولاً إلى أن العلماء المحدثون اعتمدوا على (بروكلمان) الذي حاول أن يضع قواعد لهذه الظاهرة، إذ ذكر أن النبر في العربية تغلب عليه الموسيقية، ويتوقف على كمية المقطع، فإنه يسير من مؤخرة الكلمة نحو مقدمتها، حتى يقابل مقطعًا طويلاً فيقف عنده، فإذا لم يكن في الكلمة مقطع طويل، فإن النبر يقع على المقطع الأول منها[4]

---

(1) التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه، د. رمضان عبد التواب، ص127، والأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، ص 159، ودراسة الصوت اللغوي د. أحمد مختار عمر، ص 358.

(2) الكتاب، سيبويه، 1/ 53 و182 و304، 3/98 و137، و152 و182، و223 و291و533، و4/480.

(3) دروس في علم أصوات العربية، جاك كانتينو، ص194-195.

(4) فقه اللغات السامية، بروكلمان ص 45.

وقد فصّل الدكتور تمام حسّان في مواضع النبر الأولي، وحدد مواضعه،[1] أمّا الدكتور إبراهيم أنيس فقد حدد أربعة مواضع للنبر، أشهرها وأكثرها شيوعا المقطع قبل الأخير[2]، ورأى الدكتور عبده داود أنّ قواعد الدكتور تمام حسان أقل دقة إذا ما قورنت بقواعد إبراهيم أنيس[3] وقد وضع الدكتور محمد داود ضوابط عدّة للنبر، يمكِنُ من خلالها ملاحظةُ مَوقِعِ النَّبْرِ داخِلَ الكَلِمةِ:[4]

1- إذا توالَت عِدَّةُ مقاطِعَ مَفتوحةٍ، يكونُ الأوَّلُ فيها منبورًا؛ ففي كَلِمةِ "كَتَبَ" نجِدُ ثلاثةَ مقاطِعَ قَصيرةٍ مفتوحةٍ، أوَّلُها منبورٌ.

2- إذا ضَمَّت الكَلِمةُ مقطعًا طويلًا واحِدًا، يكونُ النَّبْرُ على هذا المقطَعِ الطَّويلِ، كما في كَلِمةِ "كِتاب" بنَبْرِ المقطَعِ الثَّاني.

3- إذا ضَمَّت الكَلِمةُ مقطَعينِ طويلَينِ، يكونُ النَّبْرُ على أوَّلِهما، كما في كَلِمةِ: كاتِب، نجِدُ مَقطَعَينِ طويلَينِ، أوَّلُهما مفتوحٌ، والثَّاني مُغلَقٌ، والنَّبْرُ على المقطَعِ الأوَّلِ.

أنواع النبر: قسم العلماء النبر إلى قسمين:

1- نبر الكلمة، وسماه تمام حسان بالنبر الصرفي، ونسبه إلى الصيغة الصرفية أي هو يختص بالميزان الصرفي أي لا يختص بمثال معين وإنما يكون

اختصاص كل مثال جاء على هذا الوزن أو ذاك فوزن (فاعل) يقع النبر فيه على (الفاء) ومعنى هذا أن كل كلمة جاءت على هذا الوزن يقع عليها

النبر بالطريقة نفسها مثل (ضارب، قارئ)، وإن كانت الكلمة على وزن (مفعول) فإنّ النبر يقع على حركة العين فكل كلمة جاءت على هذا الوزن يكون النبر فيها على عين الكلمة، مثل (مضروب، مقتول)، أما إذا جاءت الكلمة على وزن (مستفعل) فإن النبر فيه يقع على حركة التاء، مثل (مستخرج، مستعمل) فتكون التاء منبورة فيها جميعاً.[5]

وهذا النبر نوعان؛ أولي أو رئيسي؛ وهذا يقع في كل كلمة، ومن أمثلته: الوقف على المشدد، نحو بثَّ، الحيّ، أو عند النطق بياء مشددة قبلها مكسور أو مفتوح، نحو شرقياً، وعند الانتقال من حرف مد إلى حرف مشدد، نحو الحاقّة، وثانوي ويكون في الكلمات الطويلة التي تشتمل على عدد من المقاطع يجعلها بمنزلة كلمتين، نحو: استغفار، فالمقطع (فا) اشتمل نبراً أولياً والمقطع (تغ) اشتمل

---

(1) اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان 172-174، ومناهج البحث في اللغة، تمام حسان ص 161-162.

(2) الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، ص101.

(3) دراسات في علم أصوات العربية، عبده داود، ص 169.

(4) العربية وعلم اللغة الحديث، محمد محمد داود، ص131- 132.

(5) مناهج البحث في اللغة، تمام حسان ص160-161.

نبراً ثانوياً[1] ولكلٍّ من النبر الأولي والنبر الثانوي قواعده الخاصة به التي تنسجم مع وظيفته الإيقاعية في حدود الصيغة أو الكلمة.[2]

2- نبر الجملة: ويسمى هذا النوع أيضا: النبر الجملي، النبر الدلالي، والنبر السياقي، وهنا يقع النبر على كلمة محددة من الجملة، وليس على مقطع صوتي، لتكون الكلمة المنبورة أوضح من باقي كلمات الجملة، وعرّفه خالد العبسي بأنه "الضغط النسبي على كلمة من كلمات الجملة أو على ما كان في حكم الكلمة الواحدة، ليكون ذلك الجزء المضغوط من الجملة أبرز من غيره من أجزاء الجملة، ويقع على ما يراد تأكيده، أو ما يُسْتغرب من الجملة"[3]

وبين الدكتور تمام حسان في موازنة بين النوعين، أنّ نبر الكلمة يأتي للتأكيد أو للتقرير، ولا يمكن وصفه، أما نبر الجملة فمستقل عن الصيغة الصرفية، ويمكن وصفه[4]

ومن الأمثلة على نبر الجملة ما قدمه خالد العبسي في قوله: (سافر حمزة إلى مكة أمس): وحلله وفق الآتي:

أ- إذا كان النبر على (سافر)، فالغرض توكيد الحدث.

ب- إذا كان النبر على (حمزة)، يكون الفاعل هو موضع الاستغراب والتأكيد، كونه غير متوقع منه ذلك.

ت- إذا كان النبر على (مكة)، فالمكان الذي سافر إليه ليس متوقعاً، وهو محل الاستغراب والتوكيد.

ث- إذا كان النبر على (أمس) يكون زمن السفر هو محل الاستغراب والتأكيد[5]

أثر النبر في معاني الكلمات:

ذهب الباحثون في قضية أثر النبر في معاني الكلمات إلى اتجاهين:

الأول: يرى أن النبر يؤثر في المعنى، ومن هؤلاء الدكتور محمد داود والدكتور نبيل عبد الحميد ، فقد ذكرا عدداً من الآيات، بين فيها أن نبر مقطع دون مقطع آخر يؤدي إلى تغير المعنى، كقوله تعالى: {فَسَقَى لَهُما ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِما أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ} [القصص: 24]، فإذا وقع النبر على الفاء انتقل المعنى من السقاية إلى الفسق، وأيضاً هذا معنى بعيد، وكقوله تعالى:{ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيْرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ}[الحديد: 16] فالفاء لو نبرت هنا أيضاً لكان المعنى

---

(1) اللغة العربية معناها ومبناها ص 172، وأثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة، فوزي الشايب، ص 159.

(2) ينظر هذه القواعد بالتفصيل في اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان ص 172-173.

(3): النبر في العربية (مناقشة للمفاهيم النظرية ودراسة أكوستيكية في القرآن) خالد عبد الحليم العبسي، ص 36.

(4) مناهج البحث في اللغة، تمام حسان، ص 163.

(5): ينظر: النبر في العربية (مناقشة للمفاهيم النظرية ودراسة أكوستيكية في القرآن)، خالد عبد الحليم العبسي، ص 36-37، والدلالة الصوتية، صالح سليم الفاخري، ص ١٩٤

الفقس وليس القسوة، وكقوله تعالى: { بأنّ ربك أوحى لها} [الزلزلة: 4] فإذا تحول النبر عن اللام في لها، بجعل الكلمتين كلمة واحدة، أي: أوحالها، كان في غاية الفساد. وكقوله تعالى: {وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا}[الإسراء: 19] فلو نبرنا الواو ولم ننبر السين لكان المعنى يدل على الاتساع وليس السعي، وقوله تعالى: {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ}[العنكبوت: 69] فلو نبرنا اللام بدلاً من العين لكان المعنى يدل على اللمعان وليس على المعية، وكقوله تعالى: {رضي الله عنهم ورضوا عنه} [البينة: 8] فلو تحول النبر عن الراء لصار مشتقاً من (ورض) وليس من (رضي) وهذا فساد في المعنى[1]

الثاني: يرى أنّ النبر ظاهرة صوتية فحسب ولا تغير المعنى، ووظيفته الإفصاح عن الدلالة السياقية، ومنهم الدكتور تمام حسان الذي قال إنّ " اللغة العربية لا تفرق بالنبر بين الأسماء والأفعال، أي: إنها لا تعطي النبر معنًى وظيفيًّا في الصيغة أو في الكلمة، ولكنها تمنحه معنًى وظيفيًّا في الكلام؛ أي: في معنى الجملة. ويتضح ذلك إذا قارنا في النطق بين جملتي: اذكر الله وذكري الله. ومن هنا تصبح أحوال الأصوات في الجملتين واحدة، وتصبح فرصة اللبس سانحة هنا، فلا يعرف السامع ما إذا كان المتكلم يخاطب رجلًا أو امرأة. هنا يتدخل النبر فيفرق بين الإسنادين؛ فيكون النبر في الجملة الأولى على مقطع همزة الوصل، ويكون في الجملة الثانية على مقطع الكاف ليدل على طول الياء؛ لأنَّ النبر يقع على ما قبل الآخر إذا كان المقطع الأخير متوسطًا "ري" وما قبل الآخر قصيرًا "ك"، فيكون النبر هنا ذا وظيفة تشبه وظيفة حركة الدليل على المحذوف في نحو: "تسعون" حيث تدل الفتحة على ألف "سعى" المحذوفة"[2] ، أي أن هناك نبراً دلالياً يفهم من السياق، وهو يؤدي إلى تغير المعنى في الإسناد فحسب، فحينما نبر المقطع الأخير (ري) كانت دلالة الكلمة عند السامع على المؤنث المخاطب، أما إذا لم ننبر يظن السامع أنّ الكلام موجه إلى المفرد المذكر، فالنبر الدلالي يغير دلالة المعنى في أثناء الكلام، ومنه قوله تعالى: {فَلَمَّا ذاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُما سَوْآتُهُما وَطَفِقا يَخْصِفانِ عَلَيْهِما مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ}[الأعراف: 22] فإذا قرأنا المقطع الثاني من كلمة (ذاقا) من دون نبر يلتبس على السامع أنه موجه إلى المفرد، وإذا نبرنا دلّ على المثنى.

مما سبق نخلص إلى أنّ النبر في العربية غرضه الرئيس إمّا توضيح مقطع من مقاطع الكلمة الواحدة، وأثر هذا النوع جمالياً لا يكاد يظهر، وإمّا توضيح كلمة في جملة، وهو نبر الجملة وهذا النوع يبين لنا صورة ساطعة عما تحمله العربية من أساليب جمالية تبز بها اللغات الأخرى.

---

(1) ينظر: العربية وعلم اللغة الحديث، محمد داود، ص 132، والجامع الكبير في علم التجويد، نبيل عبد الحميد، ص333، وعلم الأصوات اللغوية، مناف مهدي محمد، ص ١٣٣

(2) اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، ص 308.

التنغيم في العربية: يعدّ التنغيم العنصر الأهم في أي نص لغوي، فهو وثيق الصلة بالنص، وعامل مهم في التواصل اللساني، وهدفه توضيح مقاصد النص وإضفاء مسحة جمالية وبلاغية عليه.

لغة: التنغيم مصدر للفعل نغّم، ونغَّم فلانٌ صوتَه حسّنه، وقال الجوهري: " وفلانٌ حسن النَغْمَةِ، إذا كان حسنَ الصوت في القراءة"[1]، وقال ابن منظور: " النَّغْمةُ: جَرْسُ الْكَلِمَةِ وحُسْن الصَّوْتِ فِي الْقِرَاءَةِ وَغَيْرِهَا، وَهُوَ حسَنُ النَّغْمَةِ... والنَّغْمَةُ: الْكَلَامُ الْحَسَنُ"[2]

اصطلاحاً: استخدم المحدثون التنغيم للدلالة على التشكيل اللحني للجملة أو العبارة[3] ، وأول من ذكره المعاجم الأجنبية، فقد عرفه جون ليونز بقوله: "مصطلح يستخدم في دراسة الفونولوجيا التطريزية أو الفونولوجيا فوق القطعية ويشير إلى الاستخدام المميز للأنماط الخاصة بدرجة الصوت "pitch" أو اللحن "melody"[4] أمّا أحمد مختار عمر فقال: هو " توالي درجات صوتيَّة مختلفة أثناء النُّطق، مثل اختلاف التَّنغيم في عبارة: لا يا شيخ"[(5)]. وعرفه تمام حسان فقال: " يمكن تعريف التنغيم بأنه ارتفاع الصوت وانخفاضه أثناء الكلام"[6]، وقال أيضاً: " هو الإطار الصوتي الذي تقال به الجملة في السياق"[7] وعرّفه محمد التونجي، فقال: "نوع من موسيقا الكلام، بواسطته يتسنى للدارس أن يعرف كثيراً من خصائص الكلام كالتفريق بين الجملة المنفية والاستفهامية، ولا سيّما إذا لم توجد صيغ نحوية خاصة تقوم بهذا التفريق كتعبير التعجي والاستفهام، وأكثر ما يوجد في اللهجات العامية"[8]

فالتنغيم موسيقا الكلام، ويعني التغيرات التي تطرأ على الصوت في أثناء الكلام من علو وانخفاض ناتجين عن تغيّر حركة النغمة من دون أن تنقطع أو تتوقف، وهذا التغير لا يحدث اعتباطاً، بل يقصده المتكلم ليعبر عن حاله وغايته وهدفه[9]

ومثلما بينا فيما سبق من اختلاف العلماء وجود النبر عند علماء النحو القدماء، فهذا الاختلاف طال التنغيم أيضاً؛ لأنّ النحويين الأقدمين لم يحددوا قواعد محددة ضمن بحث واحد يجمع قواعد تنغيم العربية، وهو غير مسجل ولا مدروس في اللغة العربية الفصحى، لم يشيروا إليه صراحة في مصنفاتهم[10]

---

(1) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري 5/ 2045.

(2) لسان العرب 12/ 590.

(3) التشكيل التنغيمي في المنظومة اللغوية، د. هايل الطالب، ص 11.

(4) اللغة وعلم اللغة، جون ليونز، ص32.

(5) معجم اللغة العربية المعاصرة، د أحمد مختار عبد الحميد عمر، 3/ 2246.

(6) مناهج البحث في اللغة، تمام حسان ص 164.

(7) اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، ص 226.

(8) المعجم المفصل في علوم اللغة (الألسنيات)، إعداد: محمد التونجي وراجي الأحمر، 207/1.

(9) التشكيل التنغيمي في المنظومة اللغوية، د. هايل الطالب، ص14.

(10) ينظر: دراسات في فقه اللغة العربية، محمد الإنطاكي، ص197، واللغة العربية معناها ومبناها ص163-164.

وقد اعترض بعض المحدثين على هذا الحكم، فقال الدكتور أحمد كشك: "وقدامى العرب وإن لم يربطوا ظاهرة التنغيم بتفسير قضاياهم اللغوية، وهم وإن تاه عنهم تسجيل قواعد لها، فإنّ ذلك لم يمنع من وجود خطرات ذكية لمّاحة تعطي إحساساً عميقاً بأنّ رفض هذه الظاهرة تماماً أمرٌ غير وارد، وإن لم يكن لها حاكم من القواعد"[1]

أمّا الدكتور هايل الطالب فقد وافق عدداً من العلماء الذين رأوا أنّ التراث تناول التنغيم، فقال: "إن عدم إشارة كتب النحويين إلى هذه الظاهرة لا يعني أنّ الحديث عنها غير موجود في كتب التراث الأخرى[2] ولا سيما تلك المتعلقة بالدرس الصوتي القرآني"[3] وفي أثناء حديثه عن التنغيم لدى النحاة أورد عدداً من الأقوال لابن جني، وسيبويه، وابن يعيش، وخالد الأزهري، وخلص من بعد ذلك أنّ النحويين عرفوا التنغيم وإن لم يصرحوا بالمصطلح، وقال: " هذه الأقوال لعلماء العربية، وأمثالها كثير، تجعلنا نستخلص منها أنّ التنغيم في فكر اللغويين حقيقة نطقية في كلامهم، وإن لم يجعلوا له قواعد محددة كما فعلوا في القضايا النحوية الأخرى"[4]

أنواع التنغيم: أشْهَرُ أنْواعِ النَّغَماتِ ثَلاثةٌ، وهي:[5]

1- النَّغْمةُ الصَّاعِدةُ: وتَعْني البدء من دَرَجةٍ مُنْخفضةٍ في مَقطَعٍ أو أكْثَرَ تَليها دَرَجةٌ أكْثَرُ عُلُوًّا منها، وتستعمل عادة عند الإبلاغ عن أمر عظيم أو عجيب، أو عند التنبيه أو التهديد، كقوله تعالى: {كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} [البقرة:28]، فالاستفهام هنا جاء دالاً على التعجب، فجاءت نغمة الأداء مرتفعة صاعدة؛ لتناسب معنى التعجب.

2- النَّغْمةُ الهابِطةُ: وتَعْني وُجودَ دَرَجةٍ عالِيةٍ في مَقطَعٍ أو أكْثَرَ، تَليها دَرَجةٌ أكْثَرُ انْخِفاضًا منها. وتستعمل عند الإبلاغ عن أمور تقريرية، الهدف منها مجرّد الإخبار، كقولنا: (نجح زيد في الامتحان)، أو تأتي لتدلل على الضعف والحزن، كقوله تعالى: {فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا} [الأعراف: 53]،

---

(1) وظائف الصوت اللغوي، محاولة لفهم صرفي ونحوي ودلالي، د. أحمد كشك، ص52 وما بعدها.

(2) عرفه الفارابي بقوله: " ومن فصول النغم، الفصول التي تسير بها دالة على انفعالات النفس، والانفعالات عوارض النفس مثل الرحمة والقسوة والحزن والخوف والطرب والغضب..." كتاب الموسيقي الكبير، ص1071.

(3) التشكيل التنغيمي في المنظومة اللغوية العربية، ص36. وينظر أيضاً ص38، و49-50.

(4) المرجع السابق ص76.

(5) يُنظَر: أصوات اللغة، عبد الرحمن أيوب، ص153-154.

3- النَّغْمةُ المُسْتويةُ: وتَعْني اتحاد درجة الصوت في عدد من المقاطع، أو تتناوب بين الصعود والهبوط، كقوله تعالى: {أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ * فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ * وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ} [الماعون: 1-3]

الجانب الوظيفي للتنغيم:

يعدّ الدكتور تمام حسان من أوائل المحدثين الذين أدركوا الجانب الوظيفي للتنغيم وأثره الدلالي، فقال: "فالجمل العربية تقع في صيغ وموازين تنغيمية هي هياكل من الأنساق النغمية ذات أشكال محددة، فالهيكل التنغيمي الذي تأتي به الجملة الاستفهامية وجملة العرض غير الهيكل التنغيمي لجملة الإثبات، وهنَّ يختلفن من حيث التنغيم عن الجملة المؤكدة. فلكل جملة من هذه صيغة تنغيمية خاصة ... فالصيغة التنغيمية منحنى نغمي خاصّ بالجملة يعين على الكشف عن معناها النحوي، كما أعانت الصيغة الصرفية على بيان المعنى الصرفي للمثال... وللنغمة دلالة وظيفية على معاني الجمل تتضح في صلاحية الجمل التأثرية المختصرة نحو: لا! نعم! يا سلام!، الله! إلخ. لأن تقال بنغمات متعددة ويتغيّر معناها النحوي والدلالي مع كل نغمة بين الاستفهام والتوكيد والإثبات لمعانٍ مثل: الحزن والفرح والشكّ والتأنيب والاعتراض والتحقير، وهلمَّ جرا حيث تكون النغمة هي العنصر الوحيد الذي تسبَّب عنه تباين هذه المعاني؛ لأن هذه الجملة لم تتعرَّض لتغيّر في بنيتها، ولم يضف إليها، أو يستخرج منها شيء مؤلم يتغير فيها إلّا التنغيم، وما قد يصاحبه من تعبيرات الملامح وأعضاء الجسم مما يعتبر من القرائن الحالية."[1]

امّا الدكتور سعد مصلوح فقد بيّن أن للتنغيم وظيفتين، نحوية وانفعالية، فالوظيفة النحوية تظهر من تمييزها بين التركيبين التقريري والاستفهامي من دون أي قرينة لفظية تفيد الاستفهام، ومثّل لذلك بقوله: " فأنت إذا قلت لصديقك تزوج زيدٌ بفتاة جميلة، فردّ عليك متسائلاً: مَنْ؟، اختلف المراد من سؤاله باختلاف النغمة التي ينطق بها السؤال، فإن نطقه بنغمة صاعدة كان السؤال عن الفاعل، وإن نطقه بنغمة هابطة كان مراده مزيداً من المعلومات عن العروس."[2] أما الوظيفة الانفعالية فقد ربطها بالوظيفة النحوية، وبيّن ذلك من خلال تبيان أنّ للاستفهام عدداً من المعاني المجازية كالتقرير والإنكار والتوبيخ والتعجب والنفي، ويتم التمييز بينها جميعها باختلاف النمط التنغيمي[3]

---

(1) اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان ص 226 و228.

(2) دراسة السمع والكلام، د. سعد مصلوح، ص 260.

(3) المرجع السابق ص260.

أثر التنغيم في توجيه المعنى في القرآن الكريم:

إنّ للتنغيم أثراً بارزاً في أداء النصوص القرآنية، فالنغمة التي تقرأ بها الآية تحدد المعنى الدلالي، ففي قوله تعالى: {فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ} [البقرة: 279] قال السمين الحلبي: " فإنْ قيل: «فَأْذَنوا» فقد عَمَّهم الأمرُ، وإنْ قيلَ «فآذِنُوا» بالمدِّ فالمعنى: أعلِمُوا أنفسَكم أو بعضكم بعضاً، وكأنَّ هذه القراءةَ تقتضي فَسْحاً لهم في الارتياءِ والتثبُّتِ أي: فَأْعِلموا نفوسَكم هذا، ثم انظُروا في الأرجحِ لكم: تَرْكِ الربا أو الحربِ"[1] وكقوله تعالى: {فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ} [يونس: 81] ، قال مكي: «وقد قرأ أبو عمرو» آلسحرُ «بالمد، فعلى هذه القراءةِ تكون» ما «استفهاماً مبتدأ، و» جئتم به «الخبر»، والسحر «خبرُ ابتداء محذوف، أي: أهو السحر، ولا يجوزُ أن تكونَ» ما «بمعنى الذي على هذه القراءةِ إذا لا خبر لها»[2]

وكقوله تعالى: {يا أيها النبي، لمَ تحرّم ما أحل الله لك؟ تبتغي مرضات أزواجك} [التحريم: 1]، فدلالة التنغيم في قوله(تبتغي) تشير إلى الاستفهام الإنكاري: "تبتغي مرضات أزواجك؟"، أي لا تحرّم الحلال مرضاة أزواجك.

أمّا في قوله تعالى: {هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئاً مَّذْكُوراً} [الإنسان:1]، فدلالة التنغيم تسلب من (هل) معنى الاستفهام، وتجعلها بمعنى (قد) وتصبح الجملة تقريرية .

فهذه الآيات وغيرهما تدلل بجلاء أنَّ طريقة نطق هذه الآيات والنغمة التي يستعملها المقرئ هي المحدد في توجيه المعنى.

التنغيم وأثره في علم المعاني:

اهتم البلاغيون وعلماء علم المعاني في الجمل الخبرية والإنشائية، وحصروا كل ما ينضوي تحت واحدة منها ومحدداتها التي تميزها، والتنغيم وطريقة نطق كل جملة يوضح ذلك بجلاء، إذ إن طريقة نطق كل واحدة منها مغايرة للأخرى، فثمة فارق بين تنغيم الجمل الخبرية التي يراد منها مجرد التقرير والإخبار، وبين الجمل الإنشائية التي يراد منها التأثير في السامع والتفاعل معه. كقولنا: (زيدٌ أخوك قادم).

فيمكن لهذه الجملة أن تكون خبرية تقريرية وتقرأ بنغمة مستوية، فتكون (زيد) مبتدأ، و(أخوك) بدلاً، و(قادم) خبراً، ويمكن أن ننغم كلمة (زيد) تنغيم النداء، وعنها يكون لدينا جملتان، الأولى إنشائية بنغمة صاعدة، والثانية خبرية تقريرية بنغمة مستوية. ويمكن أن ننغم (أخوك) في الجملة الثانية بتنغيم الاستفهام، فيكون لدينا جملتان إنشائيتان بنغمة صاعدة.

---

(1) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي، 2/641-642.

(2) الدر المصون 6/ 250.

وخير مثال على ذلك قوله تعالى: {قَالُواْ جَزَآؤُهُ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ} [يوسف 75] فالتنغيم في له أثر كبير في تبيين المعنى وتحديد نوع الجمل. فقوله: (جزاؤه) قرئت بنغمة الاستفهام، أي: قالوا ما جزاؤه، وجملة مقول القول إنشائية، والجملة الشرطية (من وجد في رحله فهو جزاؤه) على التقرير جملة خبرية، وقرئت (جزاؤه) بنغمة الاستهجان، فيكون قوله: (جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه) جملة واحدة، ولها وجوه إعرابية كثيرة[1]

أثر التنغيم في التأويل النحوي:

إنّ من يعد إلى مصنفات النحويين يجد أمثلة كثيرة تؤكد معرفة النحويين بأثر التنغيم في التوجيه النحوي وتفسير بعض المسائل المرتبطة بالتأليف الصوتي الدال عليه سياق الحال للوصول إلى المعنى المراد، منها ما قاله ابن جني مبيناً أثر التنغيم في التوجيه النحوي: "وقد حذفت الصفة ودلت الحال عليها، وذلك فيما حكاه صاحب الكتاب من قولهم: سير عليه ليلٌ، وهم يريدون: ليلٌ طويلٌ. وكأنَّ هذا إنما حذفت فيه الصفة لما دلَّ من الحال على موضعها[2] وذلك أنك تحس في كلام القائل لذلك من التطويح والتطريح والتفخيم والتعظيم ما يقوم مقام قوله: طويل أو نحو ذلك. وأنت تحسّ هذا من نفسك إذا تأمَّلته، وذلك أن تكون في مدح إنسان والثناء عليه، فتقول: كان والله رجلًا، فنزيد في قوة اللفظ بـ"الله" هذه الكلمة، وتتمكَّن في تمطيط اللام وإطالة الصوت بها وعليها، أي: رجلًا فاضلًا أو شجاعًا أو كريمًا أو نحو ذلك"[3]

وعلى ذكر طول الأصوات وقصرها لقوة المعاني المعبر بها عنها وضعفها ما ذكره ابن جني: " يحكى أن رجلا ضرب ابنا له، فقالت له أمه: لا تضربه، ليس هو ابنك؛ فرافعها إلى القاضي فقال: هذا ابني عندي، وهذه أمه تذكر أنه ليس مني. فقالت المرأة: ليس الأمر على ما ذكره، وإنما أخذ يضرب ابنه فقلت له: لا تضربه ليس هو ابنك، ومدت فتحة النون جدا، فقال الرجل: والله ما كان فيه هذا الطويل الطويل"[4]

فالرجل يقصد أنّ المرأة حينما قالت له في البيت لم تمطل فتحة النون، فجاء كلامها إخباراً وتقريراً، ولمّا مدت فتحة النون كثيراً أمام القاضي انقلب المعنى من التقرير إلى الاستفهام التعجبي.

---

(1) الدر المصون 6/529-530.

(2) قال ابن جني " وهذا إنما يفهم عنهم بتطويل الياء، فيقولون: سِيرَ عليه ليلٌ، فقامت المدة مقام الصفة". المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، أبو الفتح عثمان بن جني، 2/209.

(3) الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني 2/372.

(4) المحتسب لابن جني 2/210.

ولذا أجاز بعض النحويين حذف الِاسْتِفْهَام لظُهُور مَعْنَاهُ، كما جاء في الحديث الشريف: (تغدينا مَعَ رَسُول الله [ص] ومعنا أَبُو عُبَيْدَة بن الْجراح فَقَالَ: يَا رَسُول الله: أَحدٌ خيرٌ منا؟) التَّقْدِير: هَل أحدٌ خير منا؟ فَحذف الِاسْتِفْهَام لظُهُور مَعْنَاهُ، كَقَوْل الشَّاعِر:

ثمَّ قَالُوا تحبها؟ قلت – بهراً – ... عدد الْقطر والحصى وَالتُّرَاب[1]

فمعنى الاستفهام لم يكن ليظهر لولا التنغيم[2]، ومما يؤكد ذلك رواية أخرى لبيت عمر ذكرها البغدادي في شرح أبيات المغني: (قيل لي هل تحبها قلت بهرًا)[3]

لقد كان ابن جني على وعي كامل بالنبر والتنغيم، فخلص إلى " أن الأصوات تابعة للمعاني –فمتى قويت قويت، ومتى ضعفت ضعفت، ويكفيك من ذلك قولهم: قَطَعَ وقَطَّعَ، وكَسَرَ وكَسَّرَ. زادوا في الصوت لزيادة المعنى، واقتصدوا فيه لاقتصادهم فيه– علمت أن قراءة من قرأ: "يَا حَسْرَهْ عَلَى الْعِبَادِ"، بالهاء ساكنة إنما هو لتقوية المعنى في النفس، وذلك أنه في موضع وعظ. وتنبيه، وإيقاظ وتحذير، فطال الوقوف على الهاء كما يفعله المستعظم للأمر، المتعجب منه، الدال على أنه قد بهره، وملك عليه لفظه وخاطره. ثم قال من بعد: "على العباد"، عاذرا نفسه في الوقوف على الموصول دون صلته لما كان فيه، ودالًّا للسامع على أنه إنما تجشم ذلك – على حاجة الموصول إلى صلته وضعف الإعراب وتحجره على جملته– ليفيد السامع منه ذهابَ الصورة بالناطق"[4]

ومثلما كان مطل الصوت ومدّه قد قلبَ الإخبار إلى إنشاء، فإنّ الوقف أو انقطاع النغمة في مواضع معينة من الكلام يؤدي إلى معان أخرى، ومن ذلك أيضاً ما ذكره العلامة سعيد الأفغاني من أمر المناظرة التي جرت بين الكسائي واليزيدي في حضرة الرشيد: " سأل اليزيدي الكسائي بحضرة الرشيد قال: "انظر، في هذا الشعر عيب؟ " وأنشده:

ما رأينا خربا نـ ... قر عنه البيض صقر

لا يكون العير مهرا ... لا يكون، المهر مهر

---

(1) إعراب ما يشكل من ألفاظ الحديث النبوي، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري، 73/1.

(2) قال تمام حسان معلقاً على بيت عمر بن أبي ربيعة: " أغنت النغمة الاستفهامية في قوله: تحبها؟ " بما له من صفة وسيلة التعليق عن أداة الاستفهام، فحذفت الأداة وبقي معنى الاستفهام مفهوم من البيت، وإنصافًا للحق هنا لا بُدَّ أن نشير إلّا أنه يمكن في بيت ابن أبي ربيعة هذا مع تغيّر النغمة أن يفهم منه معنى التقرير للتأنيب أو التعبير أو الإلجاء إلى الاعتراف، وإن مجرَّد قبول احتمال من هذا النوع ليبرر موقف الأقدمين حين حافظوا على ذكر الأدوات باطراد؛ لأن التراث مكتوب تتضح فيه العلاقات بالأدوات، وليس منطوقًا تتضح فيه العلاقات بالنغمات." اللغة العربية معناها ومبناها ص227–228.

(3) شرح أبيات مغني اللبيب، عبد القادر بن عمر البغدادي، 37/1.

(4) المحتسب 210/2–211.

فقال الكسائي: "قد أقوى الشاعر" فقال اليزيدي: "انظر فيه" فقال: "أقوى، لا بد أن ينصب المهر الثاني على أنه خبر كان". فضرب اليزيدي بقلنسوته الأرض وقال: "أنا أبو محمد، الشعر صواب، وإنما ابتدأ فقال: المهر مهر"[1]

فاليزيدي استخدم التنغيم (الوقف) فوقف على (لا يكون) الثانية جاعلها توكيداً لفظياً، ومن ثم ابتدأ بنغمة عالية فظهر المعنى الذي تقصّده.

التنغيم وعلامات الترقيم:

عنى علماء اللغة المحدثون بعلامات الترقيم، وهي رموز وعلامات تستخدم في أثناء كتابة أي نص من النصوص؛ لتسهل قراءته وعرفة أفكاره وفهمه، فأي نص يتألف من مجموعة من الكلمات والجمل، ولا بدّ لإيصال معاني النص من أن تكون جمله واضحة الحدود لا لبس فيها، لتسهم في البناء التركيبي للنص، فوجدنا بعض القراء قديماً وضعوا إشارات تدلّ على أماكن الوقوف في قراءة الآيات القرآنية لبيان الخط البياني للصوت. ويمكننا ملاحظة ذلك في المصاحف الشريفة، فقد اهتمّ القائمون على طباعتها بالعلامات والرموز الاصطلاحية التي تعين القارئ على القراءة الصحيحة المجوّدة؛ لأنّ لهذه الرموز والعلامات أثراً كبير في بيان مظاهر التنغيم من سكت، ومد، ووقف، ووصل.

ويعدّ أحمد زكي باشا أول من أدخل علامات الترقيم على اللغة العربية بعد أن وجد بعضاً منها في كتابات الغربيين. فقال مبيناً سبب وضعه علامات الترقيم: " لا توجد أية نبرة صوتية في الكتابة والنص الشعري، فالقارئ يكون دائما في أشد الحاجة إلى رموز مرقومة في الكتابة يحصل بها تسهيل الفهم والإدراك عند القراءة، فلذلك تأتي علامات الترقيم لتحقق ذلك الهدف "[2] فوضع رموزاً تدل على مواضع الفصل بين الجمل، وعلى الاستفهام، والتعجب، وغيرها، مبيناً ذلك. وقال واستطاعت هذه الرموز والعلامات من خلال نقلها تنغيم المنطوق من إضفاء مسحة جمالية على الكتابة، وأزالت اللبس الحاصل من تداخل الكلام ببعضه، ووضحت المعاني التي يريد صاحب النص إيصالها للقارئ، وحققت التواصل الفعّال بينها.

وقد بين الدكتور تمام حسان أسباب عزوف علماء اللغة الأوائل عن وضع هذه الرموز، فقال: "ولم يكن لدى العرب نظام الترقيم كالذي نعرفه الآن، لقد كانت اللغة العربية الفصحى في عصرها الأول ككل لغات العالم، ربما أهملت أن تذكر الأدوات في الجملة اتكالًا على التعليق بالنغمة، فكان من الممكن مثلًا أن نفهم معنى الدعاء من قولهم: "لا وشفاك الله"" بدون الواو اتكالًا على ما في تنغيم

---

(1) من تاريخ النحو العربي، سعيد الأفغاني، ص55

(2) الترقيم وعلاماته في اللغة العربية، أحمد زكي، ص8.

الجملة من وقفة واستئناف، ومع ذلك لم يكن ثَمَّةَ مفر لمن دوَّنوا التراث من الاحتفاظ دائمًا بهذه الأدوات بسبب عدم وجود ذلك الترقيم أو التنغيم في الكتابة، فكان لا بُدَّ لهم من ضمان أمن اللبس في المعنى بواسطة اطراد ذكر الأدوات"[1]

إننا نستطيع القول إنّ نظام الترقيم والتنغيم يشبهان حاستي البصر والسمع، فلا يمكن للمرء أن يتخلى عنهما، وكلتاهما تكمل الأخرى، فعلامات الترقيم تنقل لنا بصرياً ما لا يمكن سماعه من صوت صاحب النص مبينةً حاله وانفعالاته على الرغم من عدم وجوده حقيقة بين طيات ما نقرأ، وفي الوقت عينه نرى التنغيم يجسّد حالات الكاتب المختلفة من استفهام، أو تعجب، أو إنكار، أو توبيخ، سمعياً وفق المقاطع التنغيمية المختلفة التي يبينها في أثناء نطقه، فهي عنصر مهم من عناصر التشكيل البصري وعنصر من عناصر الإيقاع التعبيري في النص، وأولاها كثير من الكتاب جلّ اهتمامهم لتحقيق التأثير في القارئ.

نتائج البحث:

مما سبق نخلص إلى عدد من النتائج، أهمها:

1. النبر والتنغيم ظاهرتان تعالجان الجانب الصوتي في اللغة، وكلتاهما تكمل الأخرى.
2. العلماء العرب القدماء وعوا هاتين الظاهرتين في مصنفاتهم، ولكنهم لم يتركوا أي مصنف يدلل على ذلك مما دفع بعض العلماء المستشرقين والعرب المحدثين إلى نفي وجودهما في اللغة العربية الفصحى.
3. مواضع النبر كانت موضع خلاف بين العلماء المحدثين، واستند بعضهم في تحديدها إلى قراء القرآن الكريم.
4. للنبر وظيفة دلالية، من الناحية المعنوية في الكلمة المنبورة.
5. النبر الدلالي له أثر في تغيير المعاني، أما النبر الصرفي فأثره في تغيير المعنى موضع اختلاف بين المحدثين.
6. النبر في العربية غرضه الرئيس إمّا توضيح مقطع من مقاطع الكلمة الواحدة، وأثر هذا النوع جمالياً لا يكاد يظهر، وإمّا توضيح كلمة في جملة، وهو نبر الجملة وهذا النوع يبين لنا صورة ساطعة عما تحمله العربية من أساليب جمالية تبز بها اللغات الأخرى.
7. التنغيم وثيق الصلة بالنص اللغوي، وعامل مهم في التواصل اللساني، وهدفه توضيح مقاصد النص وإضفاء مسحة جمالية وبلاغية عليه.

---

[1] اللغة العربية معناها ومبناها ص227.

8. للتنغيم وظيفتان، نحوية ودلالية، وللتنغيم أثر مهم في التوجيه القرائي وفي التأويل النحو وفي علم المعاني.
9. الاختلاف في النمط التنغيمي للجملة يؤدي على الاختلاف في المعنى.
10. التنغيم وعلامات الترقيم بمنزلة حاستي السمع والبصر، ولا غنى لواحدة عن الأخرى.

المراجع:

1. أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة، فوزي ال شايب، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد، الأردن، ط 1 ،1425 هـ- 2004 م.
2. أسس علم اللغة، ماريو باي تر: أحمد مختار عمر، عالم الكتب، بلا ط.
3. أصوات اللغة، عبد الرحمن أيوب، مطبعة الكيلاني، ط2، 1968.
4. الأصوات اللغوية، د. إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصري، القاهرة، مصر، د.ت، ط4.
5. إعراب ما يشكل من ألفاظ الحديث النبوي، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه د. عبد الحميد هنداوي مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1420هـ - 1999م.
6. الترقيم وعلاماته في اللغة العربية، أحمد زكي، هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2012.
7. التشكيل التنغيمي في المنظومة اللغوية، د. هايل الطالب، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ط1، 2024م.
8. التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه، د. رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط،3، 1417هـ1997م.
9. التطور النحوي للغة العربية برجستر آسر، تحقيق: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط 2،1414 هـ/ 1994 م.
10. التفكير اللغويّ بين القديم والحديث، د. كمال بشر، دار غريب، القاهرة، ط1، 2005م.
11. التنافر الصوتي والظواهر السياقية، عبد الواحد حسن الشيخ، مكتبة ومطبعة الإشعاع الفنية، الإسكندرية، مصر، ط 1، 1419 هـ/ 1999 م.
12. الجامع الكبير في علم التجويد، نبيل عبد الحميد، مطبعة الفاروق الحديثة، القاهرة، ط1، 1426هـ.
13. الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط4، د.ت.
14. دراسات في علم أصوات العربية، عبده داود، دار جرير للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2011م.
15. دراسات في فقه اللغة العربية، محمد الإنطاكي، دار الشرق العربي، بيروت، ط4.
16. دراسة السمع والكلام، د. سعد مصلوح، عالم الكتب، القاهرة، 1980م.
17. دراسة الصوت اللغوي، د. أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط،4، 1427هـ-2006م.
18. الدرس الصوتي بين الفيلسوف الفارابي وإخوان الصفا، دراسة صوتية موازنة، شهلاء خالد محمد رضا، رسالة ماجستير، كلية التربية للبنات في جامعة بغداد، 2015م.

19. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي، تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق.

20. دروس في علم أصوات العربية، جاك كانتينو، ترجمة صالح القرمادي، نشريات مركز البحوث والدراسات الاقتصادية والاجتماعية، الجامعة التونسية، 1966 م.

21. الدلالة الصوتية، صالح سليم الفاخري، المكتب العربي الحديث، الإسكندرية، ط1،

22. شرح أبيات مغني اللبيب، عبد القادر بن عمر البغدادي، المحقق: عبد العزيز رباح – أحمد يوسف دقاق، دار المأمون للتراث، بيروت، ط1، 1393هـ.

23. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي،

24. تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1407 هـ – 1987.

25. العربية الفصحى نحو بناء لغوي جديد، هنري فليش، تعريف وتحقيق: د. عبد الصبور شاهين، دار المشرق، بيروت، لبنان، ط،2 1983م.

26. العربية وعلم اللغة الحديث، محمد محمد داود، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2001م.

27. علم الأصوات اللغوية، مناف مهدي محمد، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1998م.

28. فقه اللغات السامية، كارل بروكلمان، ترجمة: د. رمضان عبد التواب، مطبوعات جامعة الرياض، 1397هـ1977م.

29. فن الكلام، كمال بشر، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، د ط، 2003 م.

30. القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث د. عبد الصبور شاهين، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، د.ت.

31. الكتاب، سيبويه، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط4، 1425 هـ ـ 2004 م.

32. كتاب الموسيقي الكبير، الفارابي، تحقيق: غطاس عبد الملك خشبة، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، 1960م.

33. لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري، دار صادر، بيروت، ط3، 1514هـ.

34. اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، عالم الكتب، ط5، 2006.

35. اللغة وعلم اللغة، جون ليونز، دار النهضة العربية، ط1.

36. المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، أبو الفتح عثمان بن جني، وزارة الأوقاف–المجلس الأعلى للشئون الإسلامية. 1420هـ– 1999م.

37. معجم اللغة العربية المعاصرة، د أحمد مختار عبد الحميد عمر، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1429 هـ - 2008 م.

38. المعجم المفصل في علوم اللغة (الألسنيات)، إعداد: محمد التونجي وراجي الأحمر، مراجعة: د. إميل يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، 1993م.

39. مناهج البحث في اللغة، د. تمام حسان، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط 2، 1394 هـ -1974 م.

40. من تاريخ النحو العربي، سعيد الأفغاني، دار الفلاح.

41. من وظائف الصوت اللغوي، محاولة لفهم صرفي ونحوي ودلالي أحمد كشك، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط 1، 1427 هـ، 2006 م.

42. النبر في العربية، حسن بن جابر القرني، حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية، المجلد الثالث، العدد 34.

43. النبر في العربية (مناقشة للمفاهيم النظرية ودراسة أكوستيكية في القرآن) خالد عبد الحليم العبسي، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد، الأردن، ط 1، 1432 هـ- 2011 م.

44. وظائف الصوت اللغوي، محاولة لفهم صرفي ونحوي ودلالي، د. أحمد كشك، القاهرة، ط2، 1997م.